الفصـــل الثالث

الشمائل النبوية والأخلاق المحمدية

حسن الخُلق...

وجمال الخِلْقة

لقد حبا الله رسوله ومصطفاه @ بأخلاق كريمة وشمائل عظيمة فجمع له بين جمال الخِلْقة، وحسن الخُلُق، وسلامة البدن، وحلاوة الروح، وقوة الشباب، وحكمة الكبار فكان القائد الإنسان، والشجاع بقوة الفرسان، شعاره الصبر، وراحته التعب، ينطق بالذكر، ويصمت للفكر، لا هم له إلا طاعة ربه، ولا شغل له إلا تحقيق مراد مولاه.

قال رسول الله «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» [رواه الحاكم (٤٢٢١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي] فأوضح أن المقصود الأعظم من البعثة المحمدية هو تحقيق مكارم الأخلاق.

لقد كان خلق النبي @ القرآن فمهما أمره ائتمر، ومهما نهاه انتهى، فكان بذلك عبدًا ربانيًا في الآداب، والأخلاق، والمعاملات، والتصورات، واستحق الشهادة الربانية وهي ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة محمد @ -كما يقول المفسر الملهم سيد قطب- تبرز من نواح شتى:

تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجلها ضمير الكون، وتثبت في كيانه، وتتردد في الملأ الأعلى إلى ما شاء الله. وتبرز من جانب آخر، من جانب إطاقة محمد @ لتلقيها. وهو يعلم من ربه هذا، قائل هذه الكلمة. ما هو؟ ما عظمته؟ ما دلالة كلماته؟ ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلم من هو إلى جانب هذه العظمة المطلقة، التي يدرك هو منها ما لا يدركه أحد من العالمين.

ولنتجول سويًا لنرى جميل صفاته، وحسن خلقه، وكرم شمائله @:

١- الكرم المحمّدي:

لقد كان رسول الله @ أكرم الناس ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال: ما سئل رسول الله @ شيئاً قط فقال: لا، وحملت إليه تسعين ألف درهم، فقام إليها يقسمها، فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها، أعطى العباس ﷺ من الذهب ما لم يطق حمله، وسأله رجل حلة كان يلبسها، فدخل بيته فخلعها، ثم خرج بها في يده وأعطاه إيّاها. [صحيح البخاري: (٥٦٨٧)].

عن عمر ﷺ قال: قَسَمَ رَسُولُ الله @ قَسْمًا فَقُلْتُ: وَالله يَا رَسُولَ الله لَغَيْرُ هَؤُلاَءِ كَانَ أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ. قَالَ: «**إِنَّهُمْ خَيَّرُونِى أَنْ يَسْأَلُونِى بِالْفُحْشِ أَوْ يُبَخِّلُونِى فَلَسْتُ بِبَاخِلٍ**» [رواه مسلم (١٠٥٦)].

٢- الحلم المحمدي:

أما عن حلم النبي، وضبطه لنفسه، ومشاعره بحيث لا يظهر منها ما يكره قولاً كان أو فعلاً، فكتب السيرة مليئة بالمواقف التي تظهر هذا الخلق العظيم، وتأمل ذلك في الأحاديث التالية:

- لمّا شجت وجنتاه، وكسرت رباعيته، ودخل المغفر في رأسه يوم أحد قال: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**» [أخرجه البخاري (٣٢٩٠)]، فهذا منتهى الحلم والصفح.
- بينما رسول الله @ يقسم غنيمة بالجعرانة إذ قال له رجل اعدل فقال له @: «**لقد شقيت إن لم أعدل**» ولم ينتقم منه، ولم يأذن لأحد من أصحابه بذلك. [رواه البخاري: (٢٩٦٩)].
- **عن عائشة ل** قالت: ما ضرب رسول الله @ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل. [رواه مسلم (٢٣٢٨)].

٣- العفو المحمدي:

أما عن عفو رسول @ فكان استجابة سريعة، وعملية، وفعالة لقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فظهر هذا الخلق العظيم مع الناس جميعا المسلم وغير المسلم، مع المطيع والعاصي، ظهر هذا الخلق في مقام التعليم والتربية، وتأمل هذا المعنى في المشاهد التالية:

♦ تصدّى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله @ نائم تحت شجرة وحده، فلم ينتبه الرسول @ إلا وغورث قائم على رأسه، والسيف مصلت في يده، فقال: من يمنعك مني؟ فقال الرسول @: «**الله**» فسقط السيف من يد غورث، فأخذه النبي @ وقال: «**من يمنعك مني**» قال غورث: كن خير آخذ، فتركه، وعفا عنه، فعاد إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير النّاس. [رواه البخاري (١٤٩٧١)].

ومن يتأمل قصة غورث يجد فيها معنىً عظيمًا من معاني التواصل العملي مع الآخر، وإن كان غير مسلم فالنبي والمقام مقام غزو وحرب يعفو عمن أراد أن يفتك به بعد أن تمكن منه، ولو شاهد عاقل هذا المشهد لعلم يقينًا صدق قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وفي القصة أيضًا فوائد كثيرة أشار إليها ابن حجر في فتح الباري، وتبعه العيني في عمدة القاري فراجعها فإنها مفيدة في الدعوة والتربية.

♦ لمّا دخل الرسول المسجد الحرام صبيحة الفتح، عفا عن رجالات قريش، حيث كانوا ينتظرون حكمه، قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**» عفا عنهم بعدما ارتكبوا من الجرائم ضده، وضد أصحابه ما لا يقدر قدره، ولا يحصى عدّه.

٤- الشجاعة المحمّدية:

• كان الحبيب محمد @ أشجع إنسان على الإطلاق، يقدم نفسه للموت غير هائب ولا خائف.

• **قال علي بن أبي طالب** ﷺ: كنّا إذا حمى البأس، واحمرّت الحدق نتقي برسول الله @ أي نتقي الضرب والطعان [أخرجه الحاكم في المستدرك: (٢٦٣٣)]، وقال شهادة عمران بن حصين ﷺ ما لقي رسول الله @ كتيبة إلا كان أوّل من يضرب.

في غزوة حنين حين انهزم أصحابه لصعوبة مواجهة العدو.. من جراء الكمائن التي نصبها لهم المشركون، وأوقعوهم فيها وهم لا يدرون، بقي وحده في الميدان يصاول على بغلته يقول: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**».

لقد كان النبي ذو رباطة جأش، وقوة نفس في المواقف الصعبة، فلا تتأثر نفسه ولا يضعف يقينه، وتأمل هذا في الهجرة المباركة لما وقف المشركون على باب الغار، وكان معه أبو بكر الصديق ﷺ، وقال: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا فقال له: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**». [متفق عليه (البخاري: (٤٣٨٦)، ومسلم (٢٣٨١)].

٦-الصبر المحمّدي:

كان رسول الله شعاره الصبر، فصبر في عام الحزن، لما ماتت خديجة الزوجة الحنون، ومات العم الحامي المدافع أبو طالب، فلم يهن ولم يضعف، وصبر على وفاة ابنه إبراهيم، فدمعت عيناه وقال: «**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنّا لك لمحزونون**».[رواه مسلم (٢٣١٥)] وصبر بلا شكوى أو ضجر، ولم لا؟! وقد قال له ربه: ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ [المعارج: ٥].

وصبر @ على أذى المشركين، وكيد اليهود، فأما صبره على المشركين: فقد

صبر على قريش في مكة لما ضربوه، وحاصروه ثلاث سنوات مع بني هاشم في شعب أبي طالب، وحكموا عليه بالقتل، وبعثوا رجالهم لتنفيذ ذلك الحكم الظالم فيه إلا أن الله تعالى سلَّمه وعصم دمه، كل هذا لم يردّه عن دعوته، وأما صبره على كيد اليهود فحدث كثيرًا منه @، وكذلك صبره لما تأمّروا عليه بالمدينة وحزَّبوا الأحزاب لحربه، والقضاء عليه وعلى دعوته.

لما كان الصبر عُدة في الخطوب، وعون للمكروب كما قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥] ظل الرسول @ صابرًا طيلة عهد إبلاغ رسالته الذي دام ثلاثًا وعشرين سنة، فلم يتخلّ عن دعوته وإبلاغ رسالته حتى بلغها الآفاق وسطع نورها في الأرض.

٧-العدل المحمّدي:

لما كان العدل والبعد عن الظلم، وإعطاء كل ذي حق حقه من مبادئ الإسلام، فبالعدل تقام الدول، وتنصر الأمم، ويعم الخير، وتسود روح المحبة والمساواة، وقد ورد مصداق ذلك في قول الصادق الأمين كما عند الطبراني [الطبراني (١١/ ٣٣٧/ ١١٩٣٢)] عن ابن عباس مرفوعًا: «**يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عامًا**».

لما كان العدل بهذه المنزلة العظيمة كان للنبي منه الحظ الأوفر قبل الإسلام وبعده:

أما قبل النبوة: فقد حكم بين أهل قريش في وضع الحجر الأسود بعد خلاف شديد بينهم، فحكم بأن يوضع الحجر في ثوب، وتأخذ كل قبيلة بطرف، ثم أخذ الحجر بيديه ووضعه في مكان من جدار البيت، فحكم وعدل.

وأما بعد النبوة: فقد كان يحكم بالعدل، ويأمر بالقسط فالناس كلهم عنده سواء، فلا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، وكان يقرر هذا المبدأ فيهتف

ويقول: «**يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**» [رواه البخاري (٦٤٠٦)].

كان @ تحته تسع نسوة، وكان يعدل ويتحرّى العدل بينهن، ثم يعذر إلى ربّه وهو مشفق خائف، ويقول: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**» [رواه أبو داود (٢١٣٤)]. وفي ذات المعنى كان الحسن يقول: كان الرسول @ لا يأخذ أحداً بذنب أحد، ولا يصدق أحداً على أحد.

الزهد المحمّدي:

لما كانت الدنيا حقيرة لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وهي ظل زائل، وسحابة صيف تكاد أن تنقشع، ودار ممر لا محل مقر؛ لكل هذا زهد فيه رسولنا وتركها، وكان يوضح ذلك بأقواله وسلوكه، وتعال معي لنعرف ذلك فيما يلي:

١- أقبل على الآخرة وترك الدنيا، سكن في بيت من طين، ونام على حصير، واختار أن يكون عبداً رسولاً لا ملكا نبيا.

٢- قال رسول الله @: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**» [رواه ابن ماجة (٤١٠٢)، وحسنه الألباني].

وقال @ لابن عمر: «**كن في الدنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل**».[أخرجه البخاري (٦٠٥٣)].

٣-قال لعمر بن الخطاب ﷺ وقد دخل عليه فوجده على حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، وإن عند رجليه قرظاً مصبوباً، وعند رأسه أهب معلقة، قال عمر: فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال: «**ما يبكيك**»، فقلت يا رسول الله: إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله فقال: «**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**». [أخرجه البخاري (٤٦٢٩)].

٤- وأكبر مظهر لزهده @ في الدنيا سؤاله المتكرّر: «**اللهم اجعل قوت آل محمد كفافًا**». [رواه ابن حبان (٦٣٤٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين].

٥- قول عائشة ل : توفي رسول الله @ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر من شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني. [رواه البخاري (٢٩٣٠)].

وقالت عائشة: قبض رسول الله @ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير. [رواه البخاري (٢٧٥٩)]

٦- إن الزهد في الدنيا لا يعني الفقر المادي، ولا ترك عمارة الكون، وكيف ذلك والإسلام جاء لإصلاح الكون، وضبط إيقاع الحياة في المنهج، والتصور، والحركة، والتقدم، إنما الزهد حالة نفسية، وقناعة قلبية تدفع العبد المسلم لترك الحقير لتحصيل النفيس، وشعاره في ذلك قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾.

حياء رسول الله:

لما كان الحياء من الإيمان وهو خير كله كما ثبت ذلك في صحيح مسلم [صحيح مسلم: (٣٧)] كان للنبي من ذلك الحظ الأوفر، والنصيب الأكبر، وتدبر ذلك في الآثار الآتية:

١- **عن أبي سعيد الخدري** ﷺ وفيه، قال: كان رسول الله @ أشدّ حياءً من البكر في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه.[رواه البخاري (٥٧٥١)].

٢- كان الرسول @ من شدّة حيائه لا يحد النظر لأحد، ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره ولا يصرح به؛ فيقول: «**ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**».

أدب مخالطته وحسن عشرته @.

لقد كان النبي حسن العشرة، لين الطبع، لطيفًا رقيقًا في حنان الأم، وشفقة الأب، ولهذا كان من شمائله أن من خالطه وتعامل معه عن قرب أحبه، وتأمل هذا معي في الآثار التالية:

قال أنس بن مالك ﷺ: خدمت رسول الله @ عشر سنوات فما قال لي أفّ قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟ [رواه (٢٠١٥)].

قالت عائشة ل : ما كان أحد أحسن خلقًا من الرسول @ ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال: «لبيك» أي إجابة لدعوته.

وصفه ابن أبي هاله إذ يقول: «كان دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب ولا فحاش، ولا عيّاب، ولا مدّاح يتغافل عما لا يشتهى ولا ييأس منه، وكان يجيب من دعاه، ويقبل الهديّة ممن أهداه، ولو كانت كراع شاة ويكافئ عليها. [رواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ١٥٥/ ٤١٤)].

خشية الحبيب @ وطول عبادته:

لما كانت العبادة الصحيحة هي مراد الله من الخلق، وكان أفضلها كما قال ابن القيم في مدارج السالكين أن يدور العبد مع مراد الله حيث دار، فإن كان علمًا كان المتعلمين، وإن كان ذكرًا كان من الذاكرين، وإن كان صلاة كان من المتبتلين، وإن كان دعوة كان من الداعين... فالمهم أن يسير العبد وفق مراد الرب، وقد كان لرسول الله @ الحظ الأوفر من هذا الأصل العظيم إذ هو صاحبه ومؤصله، فقام لله عابدًا منذ بعثته وحتى مات، وشعاره في ذلك مضى عهد النوم يا خديجة، وتأمل ذلك في الأحاديث الآتية:

١- روى مسلم عن عائشة ل قالت: كان رسول الله @ إذا فاتته الصلاة (أي قيام الليل) من وجع أو غيره صلى في النهار ثنتي عشرة ركعة. [مسلم: ٧٤٦].

٢- **عن المغيرة بن شعبة** ﷺ يقول: إن النبي @ قام حتى تورمت قدماه، فقيل له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: «**أفلا أكون عبدا شكورًا**». [أخرجه البخاري: (٤٥٥٦)].

٣- **عن عبد الله بن عباس** ب : كانت صلاة النبي @ ثلاث عشرة ركعة، يعني بالليل.[أخرجه مسلم (٧٦٤)].

٤- **عن عائشة** ل كان النبي @ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، منها الوتر وركعتا الفجر. [موطأ مالك (٢٥٩)، وسنن البيهقي الكبرى (٤٤٥١)].

٥- **عن عائشة** ل : كان رسول الله @ يصلي الضحى أربعًا، ويزيد ما شاء الله. [رواه مسلم (٧١٩)].

٦- عن عبد الله بن السائب، أن رسول الله @ كان يصلي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر وقال: «**إنّها ساعة تفتح فيها أبواب السماء فأحبّ أن يصعد لي فيها عمل صالح**».[رواه الترمذي (٤٧٨)، وصححه الألباني].

٧- عن ابن عبد الله بن الشّخّير عن أبيه ب قال: أتيت رسول الله @ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء. والأزيز: هو صوت البكاء [صحيح ابن حبان (١٢١٤)].

٩- **عن عائشة** قالت: كان @ يصوم حتى نقول: قد صام، قد صام، ويفطر حتى نقول: قد أفطر، قد أفطر، قالت: وما رأيته صام شهرًا كاملا منذ قدم المدينة إلا أن يكون رمضان.[رواه مسلم (١١٥٦)].

١٤- عن الأغر المزني: أن رسول الله @ قال: «**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**» [رواه مسلم: (٢٧٠٢)].

١٥- وفي رواية أبي هريرة: سمعت رسول الله @ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**». [أخرجه البخاري: ٥٩٤٨] فهو دائم الاستغفار، وهذا من كمال خشيته وعظيم تقواه لله تعالى.

ما حدّث به عبد الله بن عمر ب إذ قال: إن كنّا لنعد لرسول الله @ في المجلس الواحد مائة مرة «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم». [رواه أبو داود (١٥١٦)، وصححه الألباني].

التواضع المحمدي:

١- كان @ متواضعًا في ملبسه ومسكنه، وكان يجيب دعوة الحر، والعبد والأمة والمسكين، وكان يخدم نفسه، ويرقع ثوبه بيده.

٢- اختار الرسول @ أن يكون عبدًا رسولا على أن يكون ملكًا نبيًا، أكبر مظهر من مظاهر التواضع المحمدي.

٣- قال @: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنّما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**».[أخرجه البخاري: ٣٢٦١].

المزاح المحمّدي:

١- حدّث أنس بن مالك ﷺ، وأخرج الترمذي في الشمائل عن الحسن أنّ النبي @ قال له: «**يا ذا الأذنين**»[صححه الألباني] واستعمل الصدق استعمالاً لطيفًا، وهي مداعبة ظاهرة وهي حق واضح، إذ كل إنسان ذو أذنين اثنتين.

٢- حدّث الحسن البصري رحمه الله تعالى فقال: أتت امرأة النبي @ فقالت يا رسول الله @ ادع الله لي أن يدخلني الله الجنة قال: «**يا أم فلان إنّ الجنة لا يدخلها عجوز**» فولت العجوز تبكي، فقال: «**أخبروها أنّها لا تدخلها وهي عجوز فإنّ الله تعالى يقول:** ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة:٣٥-٣٧]. [الشمائل المحمدية: (١:١٩٩)].

أبي هريرة ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله @ إنك تداعبنا، قال: «**إنّي لا أقول إلا حقاً**»، [أخرجه الترمذي: ١٩٩٠، وصححه الألباني] إنها نبوة صدق، وما كان للنبوة أن يكون للباطل عندها أو معها نصيب.

الفصاحة المحمّدية:

١- كان يتكلم مع كل قوم بلهجتهم، وبفصاحة لسانهم، وبلاغة كلامهم كلامه مع قريش، والأنصار، وأهل الحجاز ليس هو كَكلام ذي المشعار الهمذاني، وطفهة الهندي، ووائل بن حجر الكندي، وغيرهم من ملوك اليمن.

٤- ما قاله @ من الكلم الذي لم يسبق إليه، ولا قاله أحد قبله كقوله: «**حمي الوطيس**»، و«**مات حذف أنفه**»، و«**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**»، و«**السعيد من وعظ بغيره**».

الرحمة المحمّدية:

وتتجلى هذه الرحمة في صور عديدة ومظاهر شتى وتأمل معي هذا في الأحاديث التالية

١- وفي قوله @: «**في كل ذات كبد رطبة أجرًا**» [أخرجه البخاري: ٢٣٣٤] مظهر من مظاهر الرحمة العامة.

٣- قوله لعائشة ل عندما ركبت بعيرًا، فكانت فيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله @: «عليك بالرفق».[رواه مسلم: ٢٥٩٤].

٤- ما خيّر @ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وكان رحمة على القريب والبعيد، عزيز عليه أن يدخل على الناس المشقة.

١- قوله @: «**لولا أن أشق على أمّتي لأمرتهم بالسِّواك مع كل صلاة**».[أخرجه البخاري (٨٤٧)].

٢- **عن أبي قتادة** ﷺ عن النبي @ قال: «**إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه**».[أخرجه البخاري: ٦٧٥]

الوفاء المحمّدي:

١- روى البخاري في الأدب المفرد عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي @ إذا أتي بهديّة قال: «**اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة.. إنها كانت تحب خديجة**».[البخاري: ٣٠٠٣].

٢- وفائه @ حتى للمشركين: حين وفى الرسول @ بوعده تجاه خزاعة التي دخلت في عقد محمد @ في صلح الحديبية، ونصرها، وأيّدها لما نقضت قريش عهدها معه، ونصرت حليفتها بكراً عليها، وكان ذلك سببًا في تجهيز أضخم جيش عرفته الجزيرة والسير لنصرة الحليف.

صلته لرحمه @:

١- حدّث أبو الطفيل قال: رأيت النبي @ وأنا غلام، إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه، فبسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ قالوا: أمه التي أرضعته. [رواه أبو داود: (٥١٤٤)، وقال الألباني: ضعيف الإسناد].

٢- صلاته @ بأمامة بنت زينب ابنته ل ، إذ كان يحملها على عاتقه وهو يصلي فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها على عاتقه فهذا مظهر من مظاهر صلة الرحم. [صحيح البخاري: ٤٩٤].

الخصائص المحمدية

إن للحبيب @ خصائص اختصه الله تعالى بها؛ لكماله الذاتي، والروحي لم تكن لغيره من الناس وهذه الخصائص كتب فيها كتب كثيرة ومؤلفات عديدة وأهم هذه الخصائص هي:

١. **النبوّة**: فليس لأحد بعده @ أن يدّعيها؛ لأن الله تعالى ختم بنبوته سائر النبوات، وبرسالته سائر الرسالات؛ ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠]

٢. **الوحي**: وذلك لانقطاع الوحي بموت النبي @، ولكمال الشريعة وتمامها.

٣. نوم العينين دون القلب، هو الذي تنام عينه ولا ينام قلبه.

٤. **إباحة الله تعالى له بالنكاح أكثر من أربع زوجات**: وعدم إباحة ذلك لغيره من سائر رجالات أمته.

٥. **وصال الصيام**: من خصائصه مواصلة الصوم؛ فيصوم يومين متتاليين، لا يفطر إلا في نهاية اليوم الثاني، ولم يأذن لأحد من أمته في ذلك؛ قالت عائشة ل : نهى رسول الله @ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل. قال «**إني لست كهيئتكم؛ إني يطعمني ربي ويسقين**».

٦. **حرمة أكل الصدقة عليه @ وآل بيته**: ودليله ما في صحيح البخاري (١٤٢٠) أن أبا هريرة قال: أخذ الحسن بن علي ب تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي @: «**كخ كخ**» ليطرحها، ثم قال: «**أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة**».

٧. **قيام الليل وجوبًا في أول الأمر**: فقد كان @ يقوم الليل على سبيل الوجوب؛ قال تعالى: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[المزمل: ٢].

٨. **عدم إرثه**: فما تركه كان صدقة، فليس المراد منه إرث المال، بل النبوّة والملك، قال @: «**لا نورث، ما تركنا صدقة...**» [رواه البخاري ٣٨١٠]، وقال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا، ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**» [رواه الترمذي (٢٦٨٢)، وصححه الألباني (صحيح الترغيب ٦٨/ ٣٣)].

٩. **هبة النكاح**: أيّما امرأة وهبت نفسها للنبيّ @ له أن يتزوجها بدون مهر يقدمه لها، ومن لم تهب له نفسها فعليه أن يدفع لها مهرًا.

١٠. **حرمة نكاح نساءه بعده**: فلا يحل لمؤمن أن يتزوّج امرأة من نساء النبي @ اللاتي توفي عنهنّ؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ

رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

١١. **صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة:** قال @: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**» [رواه مسلم (٢٢٧٨)].

١٢. **أول من يدخل الجنة، وأول من تفتح له،** قال @: «**إني لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر**» [رواه أحمد (١٢٤٩١)، وقال الأرناءوط: إسناده جيد].

١٣. أنه @ شاهد على من أُرسل إليهم، ومبشر لمن صدّقه بالجنة، ونذير لمن كذبه بالنار، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

١٤. قال الله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤]؛ فإذا ذكر الله عز وجل ذكر معه، قال قتادة: فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله. مدويًّا بهذا الاسم الكريم -اسم محمد @- خمس مرات في اليوم والليلة في الأذان، وكذلك عند إقامة الصلاة، ورفع ذكره في الآخرة كما رفعه في الدنيا، ورفع ذكره بأخذ الميثاق له على الأنبياء وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله [مقتبس من زاد المسير لابن الجوزي ٩/ ١٦٣ بتصرف]، وكرر اسمه في القرآن في عدة مواطن @، بل وجعلت في القرآن سورة باسمه @.

١٥. **لقد أعطاه الله الكوثر،** ومنَّ عليه بالحوض المورود، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١].

١٦. إن هذا النبي **دعوة إبراهيم عليه السلام** إذ قال: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

١٧. **وبشارة عيسى عليه السلام**؛ إذ قال: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

١٨. وفي نهاية هذا الفصل نقول إن ما ذكرناه من شمائل النبي ﷺ لهوشيئ قليل جدا، وكتب الحديث والسير والمغازي بها الكثير والكثير من خصاله الحميدة وشمائله الجميلة، ومن تدبرالسيرة العطرة علم الكثير من صفاته النفسية؛ ولعل من أهمها البذل والعطاء من إجل نشر الحق وإقامة معالم الخير، وتحمل المشاق والمتاعب في سبيل ذلك، وهذا ما نعرفه في الفصل التالي.